

مداخلة ملقاة ضمن فعاليات إحياء اليوم الوطني للطالب.

عنوانها:

" إحياء المناسبات الوطنية ودورها في حفظ ذاكرة الأمة وهويتها.

19 ماي ذكرى و عبرة "

من تنظيم إدارة المركز الجامعي ب : تيسمسيلت، 19 ماي 2009.

تمثل الذكرى في ذاكرة الشعوب الواعية لأصالتها ووجودها رصيذا حضاريا ترجع إليه في أفراحها وأعيادها لتعزز إرادتها وتربط واقعها بجذورها التاريخية الأصيلة ، وتعبد الطريق أمام المسيرة الحياتية لكي لا تنسي ذكرياتها المصنفة في خانة الذاكرة الوطنية الجماعية ، فالذكرى ليست حدثا عابرا تمر به الشعوب وهي واقفة أمام تحديات وتقلبات الأيام ، وإنما هي تجديد للوجود ، ودعم للواقع من اجل الاستمرار والبقاء في الإطار العام الذي رسمته النخبة الواعية من جيل معين ، والذي دفعت فيها الشعوب اعز ما تملك من طاقات وقدمت خيرة أبنائها من اجل الحياة الكريمة .

ومن هنا فان الاحتفال بالأيام والمناسبات الوطنية ينبغي أن يحافظ علي الذكرى كما هي ، وان يتذكر ما حملته هذه الذكرى من مرارة ومعاناة حتى لا يتحول إحياء الذكرى إلى مجرد شعارات باردة مجردة وفارغة من محتواها الحقيقي ، وينبغي أيضا أن تحضي هذه الأيام بالاحترام ، وان تعيد إلي النفوس قداسة الذكرى حتى تحتفظ بمعناها وقيمتها في تغيير مسار التاريخ.

إن الوصول إلى الإعتاق ليس بالأمر الهين من ربة الامبريالية الغربية وقوات الحلف الأطلسي، والتي واجهت عناصر الثورة مجتمعة ، هؤلاء الذين عزموا على ضرورة إيصال صوتها بالرغم من الحصار الإعلامي والسياسي والعسكري الذي فرضته فرنسا في المحافل الدولية على القضية الجزائرية ، وذلك في ضل المتغيرات على الساحة السياسية الدولية آنذاك ؛ من دون خوف ولا تراجع، بالرغم من الشراسة التي واجهت بها قوات الاحتلال جميع المنخرطين في الثورة من دون تمييز .

ففي كل مناسبة ينبغي أن يشعر الشعب الجزائري بقوة من صمم وخطط للفتاح من نوفمبر ، ومن وقف في وجه التحدي الامبريالي ، ومن حول الجزائر من مجرد ولاية من الولايات الاستعمارية الفرنسية إلى دولة وشعب مستقل له مقوماته ، خصوصيته ، وهويته الوطنية المستقلة ، البعيدة كل البعد عن الهمجية التي وصف بها من طرف الكتابات الاستعمارية لفترة ما قبل الاحتلال وبعده .

يتضح هذا جليا من خلال المطالب التي عبر بها الجزائريون واحتجوا بها لدى السلطات الاستعمارية ، وفي المحافل الدولية المنعقدة ضد الامبريالية في العديد من المناسبات و المرات ، وفي بيان الفتح من نوفمبر أيضا الذي ترجم مدى الوعي السياسي والوطني ، ومدى ثقافة من كتبه ، رغم الحيف الاستعماري في الجانب التعليمي ، ضد من سموهم بالأهالي ،الذين حرموا من حق الجلوس في نفس المقاعد مع الفرنسيين على أساس أنهم جهلة ومتوحشون .

لقد حول هذا الجيل الواعي الجزائر من مجرد شعب خاضع الي شعب فرض إرادته وعزمه على قوات الاحتلال ، وبين أيضا مستوى وعيه الوطني ، ومدى احترامه لهويته التي تعتبر مع الهوية الفرنسية مجرد خطان مستقيمان لا يلتقيان ،

فالجزائريون مسلمون بعيدون كل البعد عن فرنسا المسيحية، التي كانت تربطها علاقات عداء مقيت مع سكان شمال إفريقيا المسلمون منذ الحروب الصليبية.

ولعل من ايسر واجبات الوفاء للذكرى أن نعيد إلى الذاكرة نماذج من القيم والسلوكيات الوطنية التي طبعت جيل الثورة، ومن بينهم الطلبة بطابع متميز موسوم بالوطنية والالتزام والتحدي، وهذا عائد كله إلى درجة وعمق الإيمان بالقضية الوطنية، ومدى الصبر وتحمل الصعاب.

ولأن هذه المواقف لم تكن مجردة من ردود الفعل الاستعمارية المميزة بالشراسة ، والتي تحمل في طياتها بوضوح مدى الكره والتمييز بين ما هو فرنسي وما هو جزائري، ومدى خطورة الأفكار الوطنية وتأثيرها على ذهنية الجزائريين الذين لم يتوقفوا لحظة عن المطالبة بخصوصية ما هو جزائري عن ما هو فرنسي ، ومدى الظلم الذي يتعرض له كل ما هو جزائري، بما فيها الأرض والعباد وحتى الحيوانات .

فكيف نفسر مقابلة الكثير من الطلبة الجزائريين بالسجن والطرده من المدارس الفرنسية بالجزائر، ذنبهم الوحيد أنهم رسموا في الجدار وردة ياسمين وكتبوا في داخلها الجزائر، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن محو معالم الوطنية الجزائرية لم تتأثر بها العقول الواعية والمستنيرة من الجزائريين طيلة فترة الاحتلال، والتي تعرضت فيها إلى تشويه كل ما هو جزائري ، كل ما يمت بصلة إلى الوطنية الجزائرية في ذهن الجزائريين ، إلا أن جيل الثورة برهن إن أسم الجزائر منقوش في قلب كل جزائري بالفطرة ، وبالرغم من النصائح التي قدمها أصحاب التجارب الاستعمارية خارج الجزائر من المفكرين السياسيين في كيفية التعامل مع الجزائريين لكي تحتفظ فرنسا بموقعها في إفريقيا إن أرادت ذلك.

إن هذه التجربة كانت ناجحة نظرا للظروف التي ميزت أبناء الجزائر آنذاك، والتي لو يتحدث فيها فلاسفة علم النفس والاجتماع وعلماء التربية الحديثة ، خاصة في مسألة البحث عن أسباب ميلاد ظواهر سلوكية واعية لكتبوا الكثير عنها ، ووقفوا مطولا عند جدلية العلاقة بين سياسة التجهيل الاستعمارية ودرجة الوعي السياسي والوطني لدي فئة معينة وبجدة خلال هذه الفترة الحرجة من التاريخ العالمي.

نتذكر اليوم الكثير من الشهداء الطلبة الذين ما إن وصل إليهم نداء الثورة حتى لبوه وبقناعة في التاسع عشر من ماي 1956 ، من اجل دعم الثورة بكفءاتهم العلمية ، متخلين بذلك عن دفاً منازلهم ومستقبلهم العلمي والمهني ، يدفعهم الي ذلك الإيمان العميق بعدالة القضية الوطنية ، متحملين مسؤولية الدفاع عن الهوية الوطنية التي قوامها الجزائر وطننا، والإسلام ديننا، والعربية لغتنا، وبهذا السلوك الواعي خلد الكثير من الطلبة الذين التحقوا دفعة واحدة في التاسع عشر من ماي أسمائهم في سجل الخالدين بأحرف من ذهب ، فقائمة الشهداء منهم طويلة جدا لا يتسع المجال هنا لذكرهم.

هذه الصور السلوكية الواعية لطلبة الثورة التحريرية ينبغي أن تكون نموذجية لدي طلبة الاستقلال ، كي يخلق نوعا من التواصل التاريخي بين الجيلين فيما يتعلق بالقضية الوطنية ، وان تظل هذه العلاقة بمثابة المناعة التي تتميز بها هذه الأجيال ، للوقوف في وجه التحديات والظروف الدولية المعاصرة التي وان أخلفت في زمانها وشكلها، فإنها لا تختلف في مضمونها ، وتعبّر عن جيل واعى ومسئول أيضا

